الفصل السابع

في كرامات الأولياء

قال: وَلِلْوَلِيِّ كَرَامَاتٌ كَمَا نُقِلَتْ عَنْ[1] آصَفٍ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ وَسَلْمَانِ

أقول: ذهب الجمهور منا وأبو الحسين البصري من المعتزلة إلى ثبوت الكرامات[2] للأولياء وأنكرها أكثر المعتزلة ووافقهم الأستاذ[3] والحليمي منا. لنا قصة أصحاب الكهف[4] ومريم وآصف وأبي الدرداء وسلمان[5] ورؤية عمر ﷺ على

---

(١) أول ق ٦٤ في ز.

(٢) انظر في مبحث الكرامة أصول الدين للبغدادي: ١٧٤، ١٧٥، الرسالة القشيرية لأبي القاسم القشيري: ٥٢٧-٥٣٠، تبصرة الأدلة لأبي المعين النسفي: ٥٣٦-٥٣٨، نهاية الإقدام للشهرستاني: ٤٩٧-٤٩٩، الأربعين للرازي: ٢/١٩٩-٢٠٥، طبقات الشافعية الكبرى: ٢/٣١٤-٣٤٤، شرح المواقف: ٨/٣١٤، ٣١٥، شرح المقاصد: ٣/٣٢٦-٣٣٠، شرح العقائد النسفية: ١/١٩٤-١٩٦ وطبقات الصوفية للمناوي: ١/٥-١٩.

(٣) نسبة إنكار الكرامة إلى الأستاذ من صنع الفخر الرازي - كما يقول العلامة ابن حجر الهيتمي - وما فعله الرازي «مردود بأنه إنما أنكر منها ما كان معجزة لنبي كإحياء الموتى لئلا تختلط الكرامة بالمعجزة، وغلطه النووي كابن الصلاح . . .». ويؤيد قول ابن حجر مافي الأبكار للآمدي والنبوات لابن تيمية. انظر الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي:١٤٨، أبكار الأفكار للآمدي: ٤/٥٩ والنبوات لابن تيمية: ٢ وطبقات الصوفية للمناوي: ٦ وما بعدها القسم الأول من الجزء الأول.

(٤) لعله قصد الفتية الذين وردت قصتهم في سورة الكهف من القرآن الكريم، أو النفر الثلاثة الذين حكى النبي ﷺ قصتهم وكانوا قد أووا إلى غار فانسد عليهم فلما توسلوا إلى الله بصالح أعمالهم السابقة أفرج عنهم وقد رواه البخاري عن عبد الله بن عمر: ٢/٧٩٣، ٢/٨٢١، ٣/١٢٧٨، ٥/٢٢٢٨، رقم (٢١٥٢، ٢٢٠٨، ٣٢٧٨، ٥٦٢٩) ومسلم عن عبد الله بن عمر: ٤/٢٠٩٩، ٤/٢١٠١.

(٥) هو ما جرى بين يديهما - سيدنا سلمان وأبي الدرداء ﷺ - من تسبيح القصعة أو ما فيها من الطعام، انظر حلية الأولياء لأبي نعيم: ١/٢٢٤ وطبقات الصوفية للمناوي: ١١ القسم الأول من الجزء الأول.

المنبر جيشه[1] بـ« نهاوند »[2] حتى قال: يا سارية[3] الجبل الجبل ؛ وسمع سارية ذلك[4] . وهذا معنى قوله :

وَصَدُّ سَارِيَةَ الْفَارُقِ عَنْ جَبَلٍ وَالْبُعْدُ بَيْنَهُمَا فِي الْقَدْرِ شَهْرَانِ

واحتج المخالف بأنها لا تتميز[5] عن المعجزة فينسد باب إثبات النبوة . وأما القصص المذكورة[6] فبعضها إرهاص لنبي بعدها وبعضها معجزة لنبي معها أوقبلها . ورد بأنها تتميز[7] عن المعجزات بوجوب مقارنة الدعوى والتحدي في المعجزة ، ولا يجب شيء من ذلك في الكرامة . وبهذا ظهر بطلان جعلها معجزة لنبي قبلها ؛ وسياق تلك القصص يشهد على أنها لم تكن[8] لتصديق الأنبياء فكيف تكون[9] معجزة لهم ، على أن ذلك لو صح لبطل كثير من المعجزات .

* * *

(١) ز: على جلسه .

(٢) أ: بشهاوند .

(٣) هو سارية بن زنيم بن عبد الله بن جابر ، صحابي من الشعراء ، القادة ، الفاتحين ، جعله عمر أميرا على جيش وسيره إلى بلاد الروم ففتح بلادا منها أصبهان ، توفي سنة ٣٠ هـ . انظر الأعلام : ٦٩/٣.

(٤) أخرجه البيهقي في الدلائل ، ونقل السخاوي في المقاصد الحسنة (٤٧٤) عن الحافظ أن إسناده حسن .

(٥) أ ، ز: لا يتميز .

(٦) أ ، ز: المذكور ، ومأأثبته من « ص» .

(٧) أ ، ز: يتميز .

(٨) أ ، ز: لم يكن .

(٩) أ: بدون (تكون) ، ز: يكون .

التحقيق بل التخييل الجاري مجرى التصديق ، وشتان ما بين المرادين ؛ فلا ينبغي صدوره عن الصادق المصدوق المأمور بالدعوة إلى سبيل الرحمن بالجدل والخطابة وذرايع البرهان . قال الله تعالى ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل:١٢٥) . والثالث : أن فيه قوله تعالى ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (النساء:٨٢)، ونحن نجد فيه من الاختلاف المسموع من القراء ما لا يعد ولا يحصى ، وبه ظهر أن جهة الإعجاز ليس هو[١] سلامته عن الاختلاف . ورد بأن المراد بذلك هو التفاوت في مراتب البلاغة بحيث يكون بعضه قاصرا عن مرتبة وبعضه بالغا إليها .

الرابع : أنه أخبر بأنه لئن اجتمعت الإنس والجن لا يأتون بمثل أقصر سورة[٢] منه ، مع أنه قد حكى فيه عن موسى عليه السلام إحدى[٣] عشرة آية ؛ أعني قوله ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴾ (طه:٢٥) إلى قوله ﴿ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾ (طه:٣٥) وقد اعترف موسى عليه السلام بأن هارون أفصح منه لسانا . ورد بأن المحكي لا يلزم أن يكون على هذا النظم ، وقد اختار بعضهم أن المتحدي به[٤] حينئذ[٥] سورة من الطوال وعشر من الأواسط[٦] والقصار كما مر[٧] .

الخامس : أنه قد ذكر فيه أنه ﴿ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾ (الرحمن:٣٩) مع قوله[٨] ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (الحجر:٩٢-٩٣) فإنهما متناقضان فلا يجتمعان على الصدق . ورد بمنع تحقق شرائط التناقض فيهما . والسادس : أنه قد ذكر فيه قوله ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ ﴾ (الأعراف:١١). والجواب أن المراد قدرنا أجزاءكم المادية ثم

---

(١) جميع النسخ هكذا ، ولعل الصواب: ليست هي .

(٢) ز: سورة أقصر .

(٣) أ: بدون (إحدى) .

(٤) ز: بدون (به) .

(٥) أ: بدون (حينئذ) .

(٦) أ ، ز: الأوساط ، وما أثبته من « ص » .

(٧) ز: بدون (كما مر) .

(٨) أول ق ٥٧ في ز .

الصورية ثم قلنا للملائكة[1] اسجدوا ، ويجوز أن يكون الخطاب لآدم والجمع للتعظيم والتعبير عنه بالاسم الظاهر فيما بعد سلوكا إلى طريق الالتفات الذي هو فن من البلاغة ، أو لنا باعتبار أن خلق أصلنا خلق لنا في الجملة فتدبر .

ثم إن المولى المؤلف لقد[2] أصاب في المدلول أعني قوله « وأعظم الآي قرآن » ، لكنه أخطأ[3] في الدليل أعني قوله لما عجزوا فإنه إنما يدل على كونه معجزا كما مر[4] لاعلى كونه أعظم من سائر المعجزات ، بل الدليل عليه هو أنه بعد تواتر إعجازه بوقوعه في الطبقة العليا من البلاغة والبراعة يشتمل على الإخبار عن المغيبات الواقعة وعلى المعارف الإلهية و الأسرار النبوية ومكارم الأخلاق السنية ومحاسن الأفعال المرضية والإرشاد إلى المصالح الدينية والدنيوية[5] مع بقائها على مر الدهور والأعصار بحيث يشاهده الناس في جميع الأقطار والأمصار . ويمكن أن يكون ما ذكره المحقق إشارة إلى هذا ، فإن عجز كل الناس إنما يتصور فيما بقى وهم يشاهدونه . ولك أن تقول إن العجز عن سورة منه مما يدل على الأعظمية أيضا فتدبر .

* * *

(١) جميع النسخ: ثم قلنا لآدم اسجدوا ، وهو خطأ .

(٢) أول ق ٤٩ في أ .

(٣) اعترض الحافظ الكبير على تخطئة الخيالي للناظم قائلا « إنما الخطأ في التخطئة » . انظر شرح الحافظ الكبير على النونية مخطوطة الأزهر ورقة: ٥٦ .

(٤) أ: زيادة (لا على كونه معجزا كما مر) .

(٥) ز: بدون (الدنيوية) .